الكتب

س : ما هي الإسرائيليات التي وضعت في الكتب الدينية ، وهل يجوز الاستشهاد بها ، وهل هناك كتب مليئة بها يجب تجنب الاطلاع عليها ؟

ج : الإسرائيليات منسوبة إلى بني إسرائيل ، وهم اليهود . وكانت لهم مكائدهم وطرقهم في معارضة الإسلام ، ولبس بعضهم مسوح المسلمين ومارسوا نشاطهم الكيدي كعبد الله بن سبأ . وانخدع بهم بعض المسلمين فساروا في هذا الطريق ، ومنهم أبو عصمة نوح ابن مريم الذي وضع أحاديث في فضل سور القرآن لا أصل لها بالمرة ، وبرر عمله هذا بأنه رأى الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي ابن إسحاق ، فوضع الأحاديث حسبة لترغيب الناس في القرآن .

واقترح مجمع البحوث الإسلامية في يناير ١٩٦٨م تقديم بحوث تسهم في إحياء ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على القرآن ، فوضع المرحوم الشيخ محمد الذهبي كتاباً عن الإسرائيليات في التفسير والحديث . وذكر حكم روايتها وأشهر رواتها ، وذكر أن لليهود ضلعاً كبيراً فيها ، لأنهم حرفوا التوراة وحاولوا أن يحرفوا القرآن في لفظه أو معناه ، وأن العرب تأثروا بثقافة أهل الكتاب ، ودخلت الإسرائيليات إلى التفسير والحديث عندما بدئ تدوينها ، فملئت الكتب بالغرائب والأكاذيب .

وقد حذرنا الرسول ﷺ من الاعتماد على أكاذيبهم ، ففي البخاري حديث « لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم . . . . . » وأخرج أحمد وغيره أن عمر رضي الله عنه أتى الرسول ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب ، فغضب الرسول وقال « أمتهوكون -شاكون متحيرون- فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوه ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا أن

يتبعني» وروى البخاري نهي ابن عباس عن سؤال أهل الكتاب فالقرآن فيه الكفاية، ولا يجوز أخذ شيء عنهم إلا ما كان موافقاً للدين، كما تدل عليه النصوص بالأخذ عنهم مثل، ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤] ومثل «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

والوصية قوية بالحذر عند الرواية عن كعب الأحبار ووهب بن منبه ومحمد ابن السائب الكلبي ومقاتل بن سليمان وغيرهم، وكذلك الكتب التي تنقل الإسرائيليات ولا تبين صدقها أو كذبها، كتفسير الثعلبي وكتابه «العرائس» وتفسير الخازن.

س: ما عدد الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء وما أسماؤها وكيف نزلت؟

ج: الكتب السماوية التي نزلت على الأنبياء كثيرة، والواجب علينا هو الإيمان بذلك إجمالاً، أما تفصيلاً فالواجب هو الإيمان بما ورد ذكره في القرآن الكريم، وهي: صحف إبراهيم، والتوراة، التي نزلت على موسى والزبور الذي نزل على داود، والإنجيل الذي نزل على عيسى، والقرآن الذي نزل على محمد عليهم جميعاً صلاة الله وسلامه.

يقول الشيخ محمود أبو دقيقة في مذكرات التوحيد: أما الصحف فقد ورد في شأنها آثار كثيرة وأرجحها أنها مائة صحيفة، خمسون نزلت على شيث عليه السلام، وثلاثون نزلت على إدريس عليه السلام، وعشرة نزلت على إبراهيم عليه السلام، وعشرة على موسى عليه السلام.

والظاهر أن هذه الصحف كانت مشتملة على مواعظ وإرشادات إلى التحلي بمكارم الأخلاق والتخلي عن مساوئها، ولم يعرف عنها شيء يقيناً، لعدم وجود ما يفيد يقيناً بشأنها[2].

١- رواه البخاري.

٢- مذكرات التوحيد، ج ٣ ص ٥٤.

أما نزولها فالظاهر أن جبريل عليه السلام هو أمين الوحي الذي بلغه إلى الرسل كافة فهو الذي حمل التوراة والإنجيل وأنزلهما مرة واحدة على موسى وعيسى ، وحمل القرآن وأنزله على الرسول محمد ﷺ منجَّماً أي مفرقاً كما نص عليه القرآن الكريم ، وكلام الله سبحانه للبشر جاء بعدة طرق ذكرها في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى :٥١] .

جاء في تفسير القرطبي [1] ، عند قوله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأعراف :١٤٥] قال ربيع بن أنس : نزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير ، وأضاف الكتابة إلى نفسه «كتبنا» على وجه التشريف ، إذ هي مكتوبة بأمره كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر .

والأفضل ترك علم ذلك لله سبحانه ، فلا فائدة هامة من البحث فيه .

س : إذا كان الإسلام يعترف بالرسالات السماوية فهل هناك ما يمنع المسلم من أن يأخذ ويتبع ما جاء من تعاليم ونصائح كل هذه الرسالات؟

ج : ليكن معلوماً أن الإسلام جاء ديناً وافياً كاملاً ، فيه كل ما يحتاجه المسلم في دنياه وآخرته كما قال سبحانه ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة :٣] وقال ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل :٨٩] .

ومع ذلك لا مانع من الاستفادة بما يوجد في الكتب السماوية الصحيحة ، لأن ما فيها حق وإن كانت فروع الشريعة تختلف من دين لآخر ، فشرع من قبلنا ليس

١- ج٧ ص ٢٨١.

شرعاً لنا إلا إذا وجد في شرعنا ما يقرره ، أو هو شرع لنا إن لم يوجد في شرعنا ما يخالفه ، على خلاف للعلماء في ذلك .

ولكن أين هي الكتب السماوية الصحيحة التي يستفاد منها وقد أقر القرآن بأنها حُرِّفت ؟ وبتحريفها كفر اليهود والنصارى برسالة سيدنا محمد ﷺ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة :١٤٦] فلا حاجة بنا إلى الأخذ من كتبهم ، ولو قرأناها فليكن القارئ على معرفة تامة بدينه هو ، حتى لايزل ويتبع بعض ما فيها ، وحتى لا يقول : إن فيها ما لا يوجد في كتب الإسلام فيميل إليها ويطمئن إلى قراءتها والعمل بما فيها ، وقد حدث أن النبي ﷺ نهى عن قراءة كتب أهل الكتاب - اليهود والنصارى- خشية الفتنة بما فيها وقال لعمر «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية» إلى أن قال «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيًّا ما وسعه إلا اتباعي»[1] ، ومع ذلك جاء عن الرسول ﷺ ، كما أخرجه البخاري ، قوله «لاتصدقوا أهل الكتاب ولاتكذبوهم وقولوا : آمنا بالله وما أنزل إلينا» وقوله «بلغوا عني ولو آية ، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» .

وهو يشير إلى مصادر المعرفة الثلاثة وهي القرآن الذي يجب تبليغه ، والحديث النبوي الذي يجب الدقة عند تلقيه وروايته ، وما جاء عن بني إسرائيل من السماح بروايته ، وذلك في نطاق ما جاء عنه ﷺ ، ما رواه أحمد وأبو داود : إن كان حديثهم حقًّا فلا تكذبهم فيه ، وإن كان باطلاً فلا تصدقهم فيه ، وما لا نجزم بصدقه أو كذبه فنحن في حل من الأخذ به أو رفضه .

وفي ضوء هذا المقياس أصاب عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يوم اليرموك زاملتين - أي حمل بعيرين - من كتب أهل الكتاب فكان يحدث منهما ،

---

١ - رواه أحمد في مسنده .

وابن مسعود رضي الله عنه قال - كما رواه أحمد وغيره - : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم ، إما أن يحدثوكم بصدق فتكذبونهم أو بباطل فتصدقونهم .

والخلاصة أن الأخذ من كتب الأديان الأخرى لا حاجة إليه ، أما قراءتها للاطلاع على ما فيها ومقارنته بما جاء في الإسلام فلا مانع منه لمن هو متمكن في العلم الديني .

س : إذا كان الزبور هو كتاب سيدنا داود ، والذكر هو القرآن ، فما المقصود بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء :١٠٥] ؟

ج : الزبور ليس هو فقط الكتاب الذي نزل على داود عليه السلام ، وإنما يطلق على كل ما أنزله الله تعالى من الكتب حتى القرآن الكريم ، والذكر قيل : هو توراة موسى عليه السلام ، وقيل : هو كتب الأنبياء ، وقيل : هو أم الكتاب الذي عند الله في السماء.

والمعنى أن الله سبحانه قرر في اللوح المحفوظ وفي الكتب المنزلة على الأنبياء أن الجنة لعباده الصالحين ، كميراث أتاهم من غير جهد ، لأن طاعتهم لا تتساوى مع عظمتها وقيمتها ، وقال بعض المفسرين المحدثين : المعنى أن البقاء هو للأصلح في الدنيا ، فمن انحرف من الملوك أو الدول أو الأمم عن الصراط المستقيم سلب الله منهم سلطانهم وأعطاه للصالحين الذين يستحقونه ، وكل ذلك تتحمله الآية .

س : جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم :١٢] فما هو الكتاب الذي نزل عليه ؟

ج : قال القرطبي في تفسيره [1] ، الكتاب هو التوراة بلا خلاف وأخذُ يحيى له بقوة معناه : بِجدٍّ واجتهاد وقيل : المراد العلم به وحفظه والعمل به.

١- ج١١ ص ٨٦.

والتوراة كانت كتاب الأحكام الذي أخذ به كل من جاء بعد موسى من الأنبياء حتى جاء عيسى فنزل عليه الإنجيل .

س : قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩ ﴾ [الأعلى: ١٨،١٩] عرفنا صحف موسى وهي التوراة المطبوعة فأين نجد صحف إبراهيم ؟

ج : من المعلوم أن الكتب التي نزلت على الأنبياء السابقين كانت في تشريعاتها متناسبة مع الأقوام الذين أرسل إليهم الرسل ، ولا يكلف قوم بغير ما جاء به رسولهم ، فهي تشريعات خاصة وتاريخية أي قاصرة على زمانها تنسخها الشريعة التي تأتي بعدها ، وكان خاتمة الكتب القرآن الكريم الذي نزل على خاتم الرسل ، فليس بعدهما كتاب ولا رسول ، والأمة الإسلامية ليست مكلفة بما جاء في الكتب السابقة لأمرين أولهما أنها خاصة بأقوامهم . وثانيهما أنها ليست مقطوعة الصحة ، وقد أخبر القرآن الكريم عن تحريفها في أكثر من آية ، بل عن اختلاق جماعة لكلام وادعاء نسبته إلى رسولهم ليكون وحياً له القداسة عندهم .

مع العلم بأن أصول العقائد والأخلاق التي لاتتغير بتغير الأزمان والأقوام واحدة في كل ما جاء به الرسل السابقون ، والمخالفة هي في التشريعات العملية التي تتناسب مع هؤلاء الأقوام والقرآن جاء مقرراً للصواب ومصححاً لما دخله التحريف منها ، تاركاً التشريعات لمن نزلت عليهم ، قال تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة :٤٨] .

وقد تقدم النهي عن قراءة هذه الكتب خشية الفتنة بما فيها ، إلا لمن كان على بينة من دينه ليميز الخبيث من الطيب ، والخطأ من الصواب .

وبخصوص صحف إبراهيم لا يوجد خبر صحيح عما فيها ، ولا عن وجودها الآن ، وقد أمر الله رسوله محمد ﷺ باتباع ملة إبراهيم كما قال تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل :١٢٣] والظاهر أن الاتباع هو في عقيدة التوحيد والعقائد الأساسية كما فيهم من وصفه بقوله ﴿حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ ومع ذلك إذا كان الاتباع في بعض ما جاء من التشريع فهو صحيح ما دام لم يأت في الإسلام ما يخالفه على رأي من قال بذلك من علماء الأصول . ومما أخذناه من شريعة إبراهيم الختان . ولا حاجة إلى معرفة ما نزل على إبراهيم من صحف . ففي قرآننا كل خير ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة :٣] .

ومع ذلك ذكر المفسرون بعض ما في هذه الصحف ، ففي القرطبي [1] : روى الآجُرِّي من حديث أبي ذر قال : قلت : يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال « كانت أمثالاً كلها ، أيها الملك المتسلط المبتلى المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردها ولو كانت من فم كافر . وكان فيها أمثال : وعلى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات : ساعة يناجي فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، يفكر فيها في صنع الله عز وجل إليه ، وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب . وعلى العاقل ألا يكون ظاعناً إلا في ثلاث : تزود لمعاد ، ومرمَّة لمعاش ، ولذة في غير محرم . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه . مقبلاً على شانه ، حافظاً للسانه . ومن عدَّ كلمه من علمه قلَّ كلامه إلا فيما يعنيه » .

قال : قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى ؟ قال كانت عِبراً كلها : عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب ، وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، وعجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم هو لا يعمل » .

---

١ - ج ٢ ص٢٤.

قال : قلت يا رسول الله فهل في أيدينا شيء مما كان في يدي إبراهيم وموسى مما أنزل الله عليك ؟ قال « نعم ، اقرأ يا أبا ذر ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى :١٤ - ١٩] وابن جرير الطبري اختار أن الذي في صحف إبراهيم وموسى هو ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ . . . .﴾ ووافقه ابن كثير في هذا الاختيار ، وأورد عن النسائي عن ابن عباس أن سورة ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ كلها في صحف إبراهيم وموسى .

وكلها روايات لا يلزمنا اعتقاد ما فيها ، وقرآننا هو خير كتاب نأخذ منه هدايتنا ، فهو يهدي للتي هي أقوم .

س : هل صحيح أن إنجيل برنابا يتفق مع القرآن الكريم فيما جاء عن سيدنا عيسى؟

ج : جاء في كتاب « التثليث في المرآة »[1] ، أن برنابا كان مصاحباً للمسيح عليه السلام مدة طويلة ، وكتب عن معلومات توافق ما جاء في القرآن كثيراً ، وكان هذا الإنجيل يقرأ ويدرس إلى أواسط القرن الخامس الميلادي . وفي القرن الخامس حرَّم البطريق « جليسيوس » قراءته وأمر بإعدام نسخه ، ثم عثر على نسخة منه في القرن السادس عشر الميلادي القسيس الكبير « فرامرينو » الذي وجده في مكتبة البطريق « سكنس » بطريق روما ، فظهر له بعد مطالعته أن فيه أخباراً واضحة عن خاتم الأنبياء وذكر اسمه « أحمد » فأخرج « فرامرنيو » هذا الإنجيل من مكتبة البابا وأعلن إسلامه ، ونقله إلى العربية « رشيد رضا » في مصر .

---

١ - كوثر نيازي ص ١٠٨ .

س : نسمع أن لليهود كتاباً يسمى التلمود ، فهل هو من الكتب المنزلة من عند الله كالتوراة؟

ج : كلمة التلمود عبرية معناها العلم أو الثقافة ، وعرف بهذا الاسم كتابان : التلمود الفلسطيني والتلمود البابلي . وموضوعهما واحد ، الأول جمعه اليهود الذين بقوا في فلسطين بعد أن دمر الملك البابلي أورشليم سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، والثاني جمعه اليهود الذين أسرهم هذا الملك في بابل .

ولما وجد اليهود أنفسهم منعزلين عن المجتمع لتعصبهم : حاولوا التوفيق بين يهودية التوراة والمجتمع ، فوضعوا شروحاً للتوراة مزجت بالثقافات المختلفة وجمعت في كتاب اسمه (المشنا) ثم قام زعيم لهم بنشره في المدارس والمجامع التي عرفت باسم (الكنيست) واعتبروا هذا الزعيم نبيًّا كموسى .

وطغت الشروح على أصل التوراة ، منذ القرن الخامس قبل الميلاد حتى جاء سيدنا عيسى عليه السلام ، وبعده انقسم الكتبة إلى فئات تحاول كسب ود الحاكم الروماني على حساب الدين . وحوالي سنة ٧٠ ميلادية غزا (تيطوس) الروماني فلسطين وخرَّب أورشليم ، وجاء كاتب يهودي اسمه (يهوذا بن سمعان) في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث ، فجمع كل هذه الأعمال وقسمها ستة أجزاء ، تشمل قواعد العبادة والأعياد والنساء والمعاملات والقرابين والطهارة ثم أضيفت شروح مكملة ، ولما كبرت الشروح جمعها اثنان من الكتبة هما (آشى ورابين) في القرن الخامس الميلادي ، وسمياها (التلمود) وطبع بأصليه : الفلسطيني والبابلي في البندقية .

هذا ، وقد جاء الإسلام وقرر أن اليهود حرفوا التوراة وكتبوا كتباً من عندهم يشترون بها ثمناً قليلاً ، وبسبب تقديسهم لما كتبوه وتركهم ما أنزل الله وقفوا من الدعوة الإسلامية مواقفهم المعروفة ، بل وقفوا من العالم مواقف لتحقيق ما سطره

قدماؤهم في التلمود وما وضعوه من بروتوكولات ، وننصح بعدم قراءة هذه الكتب إلا للمتمكن من دينه القادر على تمييز الحق من الباطل .

س : جاء في القرآن الكريم قول الجن للرسول ﷺ ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف :٣٠] فلمَ لم يذكروا الكتاب الذي أنزل على عيسى ، وهل آمن هؤلاء الجن بسيدنا موسى وكانوا من اليهود؟

ج : من المعلوم أن الرسالات السابقة كانت خاصة لأقوام دون آخرين ولعصر دون آخر ، وهنا يقال : لماذا لم يذكر الجن الكتاب الذي نزل على عيسى وهو الإنجيل ، واقتصروا على ذكر كتاب موسى وهو التوراة مع أن الإنجيل نزل بعدها وهو أقرب عهداً بالقرآن ؟

قال المفسرون : هؤلاء الجن من منطقة لم يرسل إليها عيسى ، وكانت داخلة ضمن حدود الرسالة الموسوية فهم آمنوا بموسى ولم يبلغهم دعوة عيسى : وقيل إن التوراة كانت مشهورة لأن كثيراً من أنبياء بني إسرائيل تتابعوا على الحكم بها ، فعرفها الجن أكثر من معرفتهم للإنجيل وقيل : إن كلام الجن ليس فيه حصر لما أنزل من الكتب ، وبالتالي ليس فيه نفي لنزول الإنجيل بعدما ذكروا التوراة .

وقيل : إن التوراة كتاب شريعة مفصَّلة فالجن الذين آمنوا بها كانوا أشد اتصالاً بمعرفة ما فيها أكثر من الإنجيل الذي كان أكثره مواعظ وأخلاقاً .

هذا بعض ما ظهر لي من الإجابة على هذا السؤال .

س : سمعنا أن من الكتب المقدسة عند الشيعة ما يسمى بالجفر ومصحف فاطمة ، فهل يمكن أن نعرف شيئاً عنهما ؟

ج : إن الشيعة لهم موقف من القرآن ويدعون أنه ناقص . وإن كان بعضهم - من باب التقية - يقسم أنهم لايعرفون إلا القرآن الذي بين دفتي المصحف المتداول بين المسلمين . لكن عند الكثيرين أن هناك مصحف فاطمة كما نصت عليه كتبهم مثل كتاب (الكافي) الذي هو أوثق كتاب عندهم بعد القرآن الكريم ، جمعه أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُلَيْني الرازي (٣٢٨ - ٣٢٩هـ) وفيه من عدة أحاديث بأرقام٦٣٥ / ١ - ٦٤٢ / ٨ ما خلاصته أن فاطمة عليها السلام حزنت بعد وفاة الرسول ﷺ خمسة وسبعين يوماً ، وكان الملك يأتيها ويسليها ويخبرها بحال النبي ﷺ ، وأخبرها بما سيكون لذريتها ، ولما عرف علي ذلك قال لها . إذا حضر فأعلميني فكان إذا حضر كتب عنه عليٌّ كل ما قال . وتلك هي مصحف فاطمة ، وليس فيه من الحلال والحرام شيء ، ولكن فيه علم ما يكون ، وجاء في الحديث رقم ٦٥٣ ما نصه : وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام ، وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام ، قال : قلت : وما مصحف فاطمة عليها السلام ؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ، قال : قلت : هذا والله أعلم ، قال : إنه لعلم وما هو بذاك .

أما الجفر ، فقد جاء في الأحاديث المذكورة أنه وعاء من أدَم -جلد ثور- فيه علم النبيين والوصيين ، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل ، وفيها -أي هذه الأحاديث- أن عندهم : الجفر الأبيض الذي فيه زبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وصحف إبراهيم عليهم السلام ، والحلال والحرام ومصحف فاطمة ، ما أزعم أن فيه قرآناً ، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد ، حتى فهي الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرْش الخدش .

والجفر الأحمر وفيه السلاح ، وذلك إنما يفتح للدم ، يفتحه صاحب السيف للقتل ، وفيه : أن بني الحسن يعرفون هذا الجفر كما يعرفون الليل والنهار ، ولكن الحسد وطلب الدنيا حملهم على الجحود والإنكار . وفي الحديث رقم ٤/٦٣٨ أن في الجفر الذي يذكرونه ما يسوءهم ، لأنهم لايقولون الحق ، والحق فيه ، فليخرجوا قضايا عليٍّ وفرائضه إن كانوا صادقين ، وسلوهم عن الخالات والعمات ، وليخرجوا مصحف فاطمة عليها السلام ، فإن فيه وصية فاطمة عليها السلام ومعه سلاح رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل يقول ﴿ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأحقاف :٤] (ايتوني) .

وفي الحديث رقم ٥/٦٣٩ أن عندهم الجامعة ، وهي صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم ، مثل فخذ الفالج ، فيها كل ما يحتاج الناس إليه ، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرش الخدش . وجاء في الحديث رقم ٦/٦٤٠ : إن عندنا كتاباً أملاه رسول الله ﷺ ، وكتبه عليٌّ عليه السلام ، صحيفة فيها كل حلال وحرام[1] .

وربما تعرضنا لذلك في وقت آخر .

س : سمعنا أن هناك كتباً منسوبة إلى الإمام علي رضي الله عنه ، يعرف فيها ما يحدث في العالم إلى يوم القيامة - فهل هذا صحيح؟

ج : من المعلوم أن الله سبحانه لا يُطلع على غيبة أحداً إلا من ارتضاه ، كما قال تعالى ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ

١- هذا الكلام منقول من صحف مصورة من كتاب الكافي مع الترجمة الإنجليزية ، طبع المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية -طهران إيران في ١٨/ ٦/ ١٩٨١م ص ٤٠ بعنوان : باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام ، الجزء الأول : الأصول القسم الثاني (٤) كتاب الحجة (٣) المؤسسة العالمية للخدمات الإسلامية .

بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن :٢٦ ، ٢٧] ومن المعلوم أيضاً أن المغالاة في كل شيء مذمومة وأن الشيعة الذين يحبون آل البيت تغالوا في ذلك حتى وضع بعضهم عليًّا رضي الله عنه في منزلة ادعى بعضهم فيها أنه إله ، والبعض الآخر أنه نبي ، وكل ذلك تحدثت عنه كتب التوحيد .

وبخصوص علم سيدنا على كرم الله وجهه بالغيب سبق أن تحدَّثنا في هذه الفتاوى عن مصحف فاطمة رضي الله عنها وعن الجفر والجامعة المنسوبين للإمام علي رضي الله عنه . وإضافة إلى ذلك قرأت في مجلة الإسلام في سنتها الثالثة وفي العدد الثامن ما يأتي : قال السيد الشريف في شرح المواقف : الجفر والجامعة كتابان لعلي رضي الله عنه . وقد ذكر فيهما -على طريقة علم الحروف- الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم ، وكان الأئمة المعروفون من أولاده رضي الله عنه يعرفونهما ويحكمون بهما .

وفي كتاب قبول العهد الذي كتبه علي بن موسى -رضي الله عنهما- إلى المأمون: إنك قد عرفت من حقوقنا ما لم يعرفه آباؤنا ، فقبلت منك العهد ، لأن الجفر والجامعة يدلان على أنه لا يتم ، ولمشايخ المغاربة نصيب من علم الحروف ينتسبون فيه إلى أهل البيت ، ورأيت أنا بالشام نظماً أشير فيه بالرموز إلى أحوال ملوك مصر ، وسمعت أنه مستخرج من ذينك الكتابين .

هذا كلام السيد . قالوا : فعلم من هذا أن عليًّا كرم الله وجهه كان عالماً بالحوادث المستقبلة التي تحدث إلى انقراض العالم ، إذ كتابة هذه الحوادث في معنى القول بها . ولا شك في أن علمه بذلك لم يكن اطلاعيًّا ولا استدلاليًّا . فتعين أن يكون بطريق التعليم الإلهي اللدني ، أو بتعليم النبي ﷺ إياه بطريق الإفاضة الروحانية . قال حجة الإسلام الغزالي في الرسالة اللدنية : قال علي رضي الله عنه . أدخل رسول الله ﷺ لسانه في فمي فانفتح في قلبي ألف باب من العلم ، مع كل باب ألف باب .

هذا ، وقد أنكر ابن تيمية نسبة ذلك إلى علي فقال : ومن الناس من ينسب إليه الكلام في الحوادث كالجفر وغيره ، وآخرون ينسبون إليه أموراً أخر يعلم الله تعالى أن عليا كرم الله وجهه منها برىء ويؤيد كلام ابن تيمية ما رواه البخاري أن عامة ما يروى عن علي كذب .